حسین مهنا

فرح یا بس محبت لسانی

شعر

حسين مهنا

فرح يا بس تحت لساني

شعر

الطّبعة الاولى١٩٩٦

حقوق الطبع محفوظة للشاعر

البقيعة - الجليل ٢٤٩١٤

ص.ب. ٣٢

تلفاكس ٠٤-٩٩٧٦٨٨٦

حسين مهنّا

فرحٌ يابس نضتَ لساني

(شعر)

إصدار خاصّ
طُبعَ في مطبعة اخوان مخّول

ترتيبُ القصائد

١) أرى وطناً يمّحي في الخيال	١٢
٢) أنينُ المَآسي	١٦
٣) يا سوسنة الحقل سألتُك صفحاً	١٩
٤) فرخ يابسٌ تحتَ لساني	٢٢
٥) آدم يكتُب سيرَتَهُ الذّاتيّة	٢٥
٦) ليت صدرَك حُضني.. وأنا أصعدُ فيك	٢٨
٧) أخرجُ من قبري لأعودَ إليه	٣١
٨) ألبسُ قصيدتي كفناً	٣٤
٩) أحملُ حُبَّك نارَيْن	٣٧
١٠) مرهوناً أبحث عن حينات الفرح الأكبر	٤٠
١١) دُعاءُ نوح	٤٣
١٢) مالكُ الحزين	٤٥
١٣) ندىً تضمّخَ.. قلبي قرنفُلةٌ ذابلة	٥٢
١٤) صباحٌ جديدٌ.. نداءٌ معتّق	٦٢

لِتَكُنْ مقدِّمة..

شربْتُ الحياةَ طفولةً مُرّةً

أكلتُها رغيفاً يابساً بلا إدام.

لبستُها أجملَ ثوبٍ من سوقِ الرّابش

لكنّني أحببْتُها.

وها أنذا أقفُ أمامَ محرابها

أستظلُّ بأهدابِها خاشعاً طائعاً.

وقلبي السّجينُ يَدقُّ أضلاعي،

كطائرٍ يُنقّرُ عبثاً قُضبان سجنهِ الأبديّ.

يا قلبيَ المغامر..

أيّها المُهْرُ الغَرّ

لماذا كُلّ هذا الهوى العُذريّ

لماذا؟!..

ولِمَنْ كُلُّ هذا الوفاءِ الأسطوريّ؟!

وأصرخُ من أعماقِ روحي:

أحبُّكِ يا بنت الكَلب!!

أحبُّك أيّتُها الحياةُ الملولُ..

فَتُقنطرين حاجبينِ ساخرينِ شامتين،

وتبصُقين في وجهي رذاذَ مصيرٍ مجهول..

وأعودُ لأصرخ:

خُذي ما تشائينَ من حُطامِ أيّامي،

وخداعِ أحلامي،

واتركي لي وردةً حمراءَ فوق مخدّتي

_٢_

أيّتها الأحلامُ الكبيرةُ..

ويا أيّتُها الأحلامُ الصّغيرةُ الحقيرة..

نامي على رمادِ أيّامي..

فضحكتي يابسةٌ مختزَلَة..

وعُبوسي مُستطيلْ..

هذا العالَمُ بقسماتِهِ الحديدِ

يَطْحَنُ جُمجُمَتي كحبَّةِ جوزٍ

بين فكّيّ كسّارة..

أو كحُفنة قمْحٍ في قبضةِ الرّحى..

هذا العالَمُ بقسماته الحديد

وقلبِهِ الحديد،

يعصُرُ قلبي كحبَّة (جريب فروت)

في بطْنِ عصّارةِ مولينكس.

أيّتُها الآمال الكبيرةُ العريضة..

ويا أيّتها الأمانيّ المتساقطة كدموعِ الثّكلى..

نامي على رمادِ أيّامي..

وتزمّلي بدموعي،

وضحالبِ أُغنياتي المُحتضرة.

وكما علّقْتُ شراييني بخُطّافات الحياةِ الحادّة

هكذا علّقْتُ قلبي

دعي حياتي تتأرجحْ على أذرع الموتِ الصّلْدَةِ الباردة..

فلن تُرْهِبَني صلابتُها

ولن تُخيفَني برودتُها

لا.. ولنْ يُخيفَني شكلُها الأخطبوطيّ..

فقد أحببتُها - بنت الكلب الحياة -

ووهبتُها عناقيدَ أحلامي

وأيّامي..

ولم أكتبْ وصيّتي..

لا.. لم أكتبْ وصيَّتي..

- حسين -

أرى وطَنَاً يَمّحي في الخيال*..

أراكَ على بابِ دارِكَ،

تشربُ ضوءَ الصَّباح - صباحِ الحبيب -

تَضَمّخَ باللّوز والشيّحِ والنّاردينْ.

أراك تُعدُّ أباريقَ قهوتِكَ النّاصريّةَ،

توقدُ نارك أنتَ

بدارك أنتَ

تردُّ السّلامَ

تقولُ: هلا يا هلا..

برَبّكَ مُذ متى لم تقلْها منَ القلبِ للعابرينْ؟!

لقد صُفْتَ ما صُفْتَ في جُزُرٍ نائياتٍ

وعدْت على رَفّةٍ

من جناحِ اخنينْ.

بربِّكَ قُلْها: أيستمرأُ البُنُّ،

إن لم يُحَمصْ على جمر نارك؟

وإنْ لم يُدقَّ بمهباجكَ الخاتميِّ،

على بابِ دارك؟!

هُنا تُستعادُ المذاقاتُ..،

يحلو أُجاجُ المنافي

ويعبقُ خنُ الغريب الحزينُ،

شذا ياسمينْ.

... وقد طُفْتَ ما طُفْتَ،

في جُزُر نائياتٍ

ووزّعْتَ ما بين منفىً ومنفىً شبابَكَ..

شِخْتَ..

وها أنت توقدُ نارَكَ - إنّي أراكَ -

وتفتحُ دارك للزّائرينْ.

بربِّكَ قُلْ لي:

ألا يُستعادُ شبابٌ رهينُ المنافي

وتحلو الكهولةُ..

تورقُ مثلَ أماليد زيتونةٍ شَفَّها الإنتظارُ،

وطولُ الجفاف،

وثِقْلُ السّنينْ!؟

...وقد صُفْتَ ما صُفْتَ

عُدْتَ..

ولكنْ بربِّكَ قُلْ لي:

اما عُدْتَ كي توقدَ النّار للتّائهينْ؟!

أما عُدْتَ كي توقظَ الفأسَ،

كيما تربُّ القرنفُلَ -

تجعلُ كُلَّ الفيافي حدائقَ..

تفتحُ حضناً دفيئاً يُرحِّبُ بالعاشقينْ؟!

أراكَ على بابِ دارِكَ أنتَ

وبين يديك مفاتيحُ بابِكَ أنتَ

أراكَ..

كأنّي أرى قريةً تستفيقُ،

وأخرى تُعيد الحياةَ إلى مقلَتيْها..

وأُخرى.. وأُخرى...

تعودُ معَ العائدينْ.

أراكَ..

كأنّي أرى وَطَناً يمّحي في الخيالْ.

كأنّي أرى وطناً من سماءٍ...

وماءٍ...

... وطينْ.

---

* نُشرت هذه القصيدة في مُلحق الاتحاد الأدبي
بتاريخ ١٦ حزيران ١٩٩٥ بإهداء: "إلى دحبور وقرُقطي...
والشّحارير العائدة.."

(٩٥.٦.٦)

أنينُ النّاي

أوجعني صوتُ النّاي،

فعلّقتُ شراييني

أصداءَ صلاةٍ

ما بين القلب الموجع حُبّاً،

ومصابيح الله الحُسنى،

وأنين النّاي.

خبّأتُ مفاتيحَ الفرحِ الهاربِ،

ضاعت أغنيتي..

شرب اللّيلُ الموصدُ كُلَّ عُصارتها

وتجشّأ حُزناً..

أغرقَ زورقيَ التّائهَ في لُجّةِ بحرِ الحُزْنِ

وأَغرقني..

إنّي أتعمّدُ،

لا في بحر الملح

ولا في ملحِ البَحْرِ

ولكنْ..

في جُرحِ النّاي.

يا مَنْ أضجَرهُ الضَّحِكُ المُثقلُ بدموعِ الفرحِ،

سألتُكَ أنْ تُلقي قلبَك كُرةً

في بحر الأشواكِ الماردةِ

لتعرفَ أنّ الألَمَ فتيلُ سراجِ الفرحِ،

الموقدِ في قلب الله

وأنّ الأَلَمَ أنيسُ المصلوبينَ

على حُلُمٍ مجبولٍ برحيقِ السّوسَنِ،

والخيبةِ..

وأنينِ النّاي.

حُلُمٌ ذاك الفرحُ الهاربُ من كفيَّ،

وهذا العُمْرُ ظلالٌ

تقصُرُ ثُمّ تطولُ

وَتثقُلُ ثُمّ تخفُّ

قليلاً.. فقليلاً تتلاشى

وقليلاً فقليلاً..

يخبو ضوءُ المصباحِ الأخضرِ،

قد لا يطْلُعُ فجرٌ

قد لا تطْلُعُ شمسٌ

ويظلُّ الفرحُ القادمُ مصلوباً

ما بين أناملَيَ الخَرساءِ

وصمتِ الرّوحِ

وقلبي العَزَبِ

وحُلمي المجبولِ بأنفاسِ السّوسنِ

والذّكرى..

وأنينِ النّايْ..

أوجعني.. أوجعني صوتُ النّاي.

(٩٥.٧.٧)

يا سَوسَنَةَ الحَقْلِ..
سَألتُكِ صَفْحَاً

أبحثُ عن فرحي الضّائعِ في ذاكرتي

أبحثُ عن ذاكرتي،

في عَيْنَيْ طفلٍ

حملَ الدُّنيا قارورةَ عِطْرٍ

شرب الدُّنيا حُلُماً أخضرَ،

ركب الدُّنيا زورقَ صَيْدٍ

ألقى في الماءِ جوارحَهُ

ضرَبَتْهُ رياحُ الخَضّ،

وخانتْ بوصلةُ الرّوحِ ملامِحَهُ..

أبحثُ عن فرحي الضّائعِ،

في ذاكرتي

أبحثُ عن ذاكرتي

في عَيْنَيْ طفلٍ ركبَ الغيمَ

وأبحرَ في قلبِ اللهِ.

تساقطَ مطراً

شربتهُ الطّرقاتُ

وأرصفةُ اللّيلِ،

فيا سوسنةَ الحقل سألتُكِ صفحاً!!

قد غاب ربيعُ العُمْرِ المكلومُ

وذا قمري يسقطُ دمعةَ عِشقٍ مفجوعٍ،

خلف حدودِ العُمْرِ.

وما زلتُ الملكَ الضّليلَ

أجوب الأرضَ حزيناً

أبحثُ عن مملكةِ الفرحِ الضّائعِ،

في ذاكرتي..

وأنا ما زلتُ المهزومَ على أسوارِكِ

يا جنّةَ صمتِ العاشقِ

إنّي أشعلتُ الرّوحَ فداءً للفرحِ القادمِ،

مِن عَيْنَيْ عوليسَ

فَصُبّي أشواقَكِ يا بنلوبُ،

نسيجاً صوفيّاً فوقَ رُفاتي..

وأنا الرّابحُ،

إنّي الرّابحُ يا ذاكرةً تبحثُ عن فرحٍ

نثرَتْهُ الرّيحُ رذاذاً،

فوق قبور مجانين العِشقِ المفتوحةِ،

يا ذاكرةً تبحثُ عن فرحي الضّائعِ

نامي خلفَ جفوني،

وأعدّي في شغفِ العاشق...

... مرثاتي.

(٩٥،٧،٨)

فَرَحٌ يابِسٌ تَحْتَ لِسَاني

شربتْ أطرافُ الرّيحِ ملامحَ وجهي

سِرْتُ غريباً في الزّحمةِ

أحملُ جرحي،

وبخورُ صلاةِ الموتى يزكُمُ ذاكرتي

أبحثُ عن قبرٍ في حجمِ الوطنِ المجدولِ،

على عُنُقي..

أبحثُ عن قبرٍ/وطنٍ،

يتّسعُ لِحُزني..

هل كُنْتُ صغيراً؟!

لا أذكُرُ..

قد عَبَثَ الحُزنُ بذاكرتي،

منذ قرونٍ،

قد سكنَ الحُزْنُ المتوقّدُ ذاكرتي.

هل كُنْتُ صغيراً، يوماً؟!

لا أذكرُ.. لا.. لا..!!

لو كُنْتُ صغيراً

لَخَزنْتُ البَسمةَ في قلبي

وملأتُ الأُفْقَ أراجيحَ،

تُلَمْلِمُ أشواكَ خطايا آدمَ...

غفرانَكَ يا طِفْلَ الجوعِ

وطِفلَ شظايا السُّنبُلَةِ الموقوتةِ،

إنّي أستجمعُ طَعْمَ الفَرحِ اليابسِ،

تحت لساني،

لا أجدُ الفَرحَ،

فأجري مهزوماً في الزّحمةِ،

تخنُقُني الزّحمةُ

أجلسُ فوق رُكامِ الحُلُمِ المُبْهِرِ،

أبكي.. أبكي..

تسقطُ حبّاتُ الحُزنِ

فينبُتُ فرحٌ أصفرُ،

يزهِرُ..

يطرحُ حُزناً أخضرَ..

وتدورُ الدّائرةُ..

تدورُ.. تدورُ

فتشربُ أطرافُ الرّيحِ ملامحَ وجهي..

أمضي..

وغريباً أمشي في الزّحمةِ.. أمشي..

لكأنّي أسمعُ هَسْهَسةَ الفرحِ القادم،

إنّي أسمعُ هسهسةَ الفرحِ القادمِ

لا.. لا..!!

لا بُدَّ من العاصفةِ لتحملَ لي سَلَّةَ خُبْزٍ،

ونبيذاً..

وَمَسيحاً منتظراً يمسحُ حُزني..

لا بُد..

(٩٥،٧،١٠)

آدمُ يكتُبُ سيرَتَهُ الذّاتِيَّة...

أودعْتُ فؤادي،

في بسمة طفلٍ غجريٍّ

وركبْتُ الرّيحَ

أسواقُ الغيمَ قطيعاً

يشربُ زُرقةَ تّموزَ

ويجترُّ على مهلٍ، حقلَ السّوسنِ،

خلفَ التّلّ.

شربَ التّلُّ حكاياتي

وانتفض حزيناً

يستقدمُ سِربَ يمامٍ

أجفلَهُ الصّيادُ بطلقةِ غَدْرٍ

صحْتُ: لماذا يُختَزَلُ العمرُ

ويُستَمْرَأُ طعمُ الدّمّ؟!

ضحكتْ سوسنةٌ تتهيّأُ

لتُزَيّنَ شاهدةَ القبرِ،

وقالتْ: هذا قَدَرُ الماشينَ

على دربِ الأحزانِ صعوداً..

فاصعدْ...!!

ولْتصْلبْ وجهَك في نورِ اللهِ

لتشربَ ضحكةَ حوّاءَ

فقد عَضِنَتْ تُفّاحةُ آدمَ

واستلقى آدمُ مخموراً بالشّهوةِ

يكتُبُ سيرَتَهُ الذّاتيّةَ:

.... كُنْتُ الآمرَ

صرْتُ المأمورَ،

وهذي دربُ الأحزانِ تشدُّ خُطايَ،

حزيناً قَذَفَتْني الرَّحِمُ،

حزيناً هأنذا أمضي،

وحزيناً سأضلُّ تجرجرُني من تيهٍ..

وإلى تيهٍ قدماي.

أودعْتُ فؤادي في بسمةِ طفلٍ غجريٍّ

وأنا أعلمُ أن الحُزنَ شِكالٌ

يلتفُّ على عُنُقي،

ويشدُّ..

يشدُّ خُطاي.

(٩٥،٧،١٢)

لَيْتَ صَدْرَكِ جُلْجُلَتي..
وأنا أَصْعَدُ فيكِ!!

لِلخيبةِ طَعْمُ الملحِ على الجُرحِ

سَأَلْتُ العاشقَ:

هل تندملُ جراحُ العشقِ فقالَ:

جراحي أسلَمتِ الرّوحَ،

وصارتْ أغنيتي تشربُ من عَيْنَيْ عاشقةٍ،

أسلَمَتِ الرّوحَ،

وظَلّتْ جثّتُها خلف مضاربِ أُسرتها،

عاريةً،

إلاّ من كَفَنٍ نسجتْهُ الرّوحُ،

سألْتُكَ باسمِ العشقِ القاتلِ

أن ترحمَ قلبَ العاشِقِ،

أن تشربَ أحزانَكَ نَخْبَ هزارٍ،

مذبوحٍ في صدرِكَ،

هل تذكرُ...؟!

جاءَتْكَ وكانَ اللّيل يراودُ نَجْمَتَهُ

سألَتْ: ما الوقْتُ؟!

فَتَمْتَمَتِ الرّوحْ:

ساعتيَ تشيرُ إلى الصّفْرِ

فإنّي الآنَ وُلِدْتُ..

خُذيني أَتفيّأْ إبْطَكِ

إنّي أشتمُّ روائحَ حوّاءَ على بُعْدٍ

فاقتربي،

وخُذيني طِفلاً ما جفّ حليبُكِ عن شفتيْهْ.

وخُذيني رَجُلاً لأُعيدَ أريجكِ،

غُلْمَةَ رَجُلٍ ما عَرَف امرأةً قَبْلَكِ،

أنتِ البَدْءُ،

وصدرُكِ جُلْجُلَتي..

لَكَأنّي أصعدُ فيكِ

وأصعدُ فيكِ..

لأُصْلَبَ..

وحذارِ..

حذارِ دُموعك أن تغسلَ كفّيْهْ.

للخيبةِ طَعْمُ الملحِ على الجُرحِ،

سألْتُ العاشقَ..

قالَ: خَسِرْتَ الجولةَ

فاخرُجْ يا خاسرُ مِنْ مملَكَتي..

جاءَتْكَ وقد أثقلَ غُلمَتَها وَجَعُ التّسهيدِ،

وضولُ اللّيلْ.

أعطَتْكَ مَفاتيحَ مدينتها..

يَبِسَتْ أصْرافُكَ.. لَمْ تَدْخُلْ..

وانسحَبَتْ كُلُّ جيوشِكَ هاربةً..

فاشرَب خَيبَتَكَ المُرَّةَ،

ما طَلَعَ نهارٌ... ما أّلْيَلَ لَيْلْ..

(٩٥،٧،١٣)

أَخرُجُ مِنْ قَبْري لأَعودَ إلَيْهِ..

أمسِ مررتُ على قبري..

قالت شاهدةُ القَبْر:

أَوَلَسْتَ المدفونَ هنا؟!

قلتُ: بلى..

قالتْ والضّحكةُ ألفُ سؤال في عينيها:

هل أتعَبَكَ ظلامُ القَبْرِ،

فقلْتُ وروحي تبعثُ روحي:

بل تاقتْ نفسي لخيوطِ الشّمسِ،

وصوتِ البُلْبُلِ..

لَكَأنّ البُلبُلَ يشربُ أوجاعي،

يحملُني فوقَ جناحِ الحُلُمِ الورديِّ

ويَصعَدُ..

يصعدُ..

ثُمّ يحطُّ على شَفَتَيْ طِفْلٍ،

لَكأنّي ذاك الطّفلُ

وقد شبَّ على حُلُمٍ،

شبَّ الحُلُمُ وشاخَ

وما زال الطّفلُ يُراودُ غانيةً

من خلفِ شبابيكِ القَصْرْ.

أقحلَتِ الرّوحُ

ونامَ القلبُ على السّكّينِ،

انطفأَ المصباحُ

وأظلَمَتِ الطّرقاتُ

وراحَ خفيرُ القصْرِ يُفتّشُ عن مجنونٍ

شرب نبيذَ الحكمةِ

وتقيّأَ ميراثَ أبي جَهْلٍ،

ونواميسَ قُريشٍ،

حَمَلَ المصباحَ

وراحَ يُفتّشُ عن رَجُلٍ في عِزِّ الظُّهْرْ.

أمسِ مررْتُ على قبري..

واليومَ أعودُ وقد تاقت نفسي

لظلامِ القَبْرْ

ملعونٌ قَبْرُ أبي الدُّنيا

ما دام القصْرُ هو القَصْرُ

وما دام الفَقْرُ هو الفَقْرُ

وأهلاً بظلامِ القَبْر،

بعيداً عن ساحاتِ الخُطَبِ النّاريّةِ..

ما دام الخُطباءُ هُمُ الخُطباءُ،

وما دامَ الفقراءُ هُمُ الشّهداءْ!

ملعونٌ قبْرُ أبي الدُّنيا..

(٩٥.٧.١٩)

أَلْبَسُ قَصيدَتي كَفَناً

وضَعَتْ راحَتها فوق جبيني

قلْتُ: حنانَيْكِ.. خُذيني

إنّي أغرَقُ في بحرِ الحُزنِ

وراحتُكِ المغسولةُ بالحنّاءِ

وطَعْمِ الجوزِ البلديِّ،

تشدُّ حَنيني للماضي التّائهِ في ذاكرتي..

قد كان الحُبُّ ربيعيّاً،

والحُلُمُ الهائمُ في ملكوتِ اللهِ ربيعيّاً

فلماذا أقْفَرتِ الرّوحُ

وضاقَ خليجُ الصّدْرِ بزَيْفِ الأصدافِ،

انتحرَ الحُلُمُ على رملِ شواطئِ نفسي..؟!

ولماذا أسلَمَتِ الرّيحُ الرّوحَ

فما عادتْ أشرعتي

تتنفَّضُ شوقاً،

لعناقِ الأُفُقِ الواصلِ،

ما بين وضوحِ الشّمسِ

وسِرِّ المجهول،

تراءَتْ عن بُعْدٍ حُوريّةُ أحلامي..

قُلْتُ: خُذيني...

إنّي أغرقُ في بحر الحُزنِ

وراحتُكِ المغسولةُ باحِنّاءِ

وطعمِ الجوزِ البلديِّ،

تشدُّ حنيني..

أعترفُ الآنَ أمامَكِ

أنّي أسلمْتُ لبحرِ الحُزنِ شراعي

وأنا أركبُ زورقيَ المثقوبَ

وأعلمُ أنّي أُبحرُ نحو قرارِ البَحْرِ،

وأنّي أهربُ،

أهربُ.. أهربُ..!!

ماخةٌ أمواجُ البَحْرِ،

ولكنَّ ملوحَتَهُ

أرحمُ مِن ملحِ العينِ الشّكرى

بَحنين الماضي،

تَعِبَتْ..

وَتَعِبْتُ....

خيوطُ القلبِ تراختْ،

إنّي أسقطُ

إنّي أتساقطُ،

ينثُرُني الحُزنُ حُطاما.

هل بِدَواةِ العُمْرِ بقيَّةُ روحٍ لقصيدةِ شِعرٍ؟!

أنتَ السّابقُ وَأنا اللاّحقُ..

يا ابنَ الرّيبِ...

... سلاما..

(٩٥.٧.٢٥)

أَحْمِلُ حُبَّكِ نَارَيْن...

أَوَتدرينَ..؟!

بأنّي أحملُ حُبَّكِ نارينِ،

وأقطعُ هذا العُمْرَ

وقلبي مشدودٌ

ما بين فحيحِ الرّغبةِ،

والعِفَّةِ..

إنّي المَخزوميُّ الماجنُ

حينَ يُصوّرُني البعدُ غزالاً يرعى العُشْبَ،

على نهديكِ

وترعى قطعانُكِ عُشبَ شراييني..

وأنا مِن عُذرَة

يشويني الصَّمتُ أمامكِ

أغفو فوقَ حشيّةِ حُزني

خَجِلاً أجمعُ أعضائي الذّابلةَ

وأَمضي..

أَمضي،

وبعيداً عنكِ،

بعيداً أَمضي....،

لأكونَ المخزوميَّ،

يُصوّرني البعدُ غزالاً يرعى العُشبَ

على نهديكِ..

سألْتُ: لماذا يَفْصِمُني حُبُّكِ...

يشطُرني حُبُّكِ...

ما بين فحيحِ الرّغبةِ،

والعِفّةِ..

إنّي أرغَبُ أن أدخلَ فيكِ

وأدخُلَ..

تشرُبني الرّغبةُ كأسَ نبيذٍ

أشربُكِ سَراباً..

وأعودُ لأجمعَ أشتاتي..

أبكي أشلاءَ الرّوحِ

وألْعَنُ جسدي المسفوحَ على حَدِّ الرّغبةِ،

أشربُ مأساتي..

يا صحراءَ العربِ...!!

خرجْتُ من الرّملِ

لأشربَ نخبَ أبيقورَ،

وما زال أبو النّشناش يُطاردُني..

يا صحراءَ العربِ...!!

خرجْتُ من الرّملِ على ضَماءٍ

فدعيني أنشِلْ..

.. من رِمالِكِ..

... مرساتي!!

(٩٥،٨،٢٢)

مَزْهُوّاً أَبْحَثُ عَنْ جيناتِ الفَرحِ الأكْبَر..

طَلع الصّبحُ رضيّ القسماتِ
وكنتُ أظنُّ بأنّ الصُّبحَ
سيحملُ نعيَ العاشق - إنّي العاشقُ -
صِحْتُ: صباحٌ آخرُ
يَنْضافُ إلى العُمْرِ
فتصغُرُ دائرةُ الضّوءِ
ويتّسِعُ الجُرْحْ.

نهضتْ سُنْبُلَةٌ أثقلَها الخيرُ
فأرختْ للخيرِ جدائِلَها،
قالتْ: ما أجمَلَ هذا الصُّبحْ!!
يا ذا الوجهِ العابسِ

للصّبحِ تبسَّمْ.. يندَمِل الجرحْ..

قُلْتُ: وكيف سيَبْسِمُ،

من ركب جناحَ الوهمِ

وراحَ يُحلّقُ..

مزهوّاً يبحثُ عن جيناتِ الفرحِ الأكبرِ

راحَ يُحلّقُ..

ضرَبَتْهُ الأنواءُ فأهوى،

أين يحطُّ..؟!

وكُلُّ مدائِنِهِ جُزرٌ من مِلحْ!!

طلعَ الصُّبحُ

وها أنذا كنتُ أظنُّ بأنّي

أُبحرُ في سَمْتِ الله

وإذْ بي أركبُ بَحْرَ الحُزنِ

فيعلو الموجُ.. ويعلو

يتركني أتساقطُ دمعاً

فوق رمادِ الأحلامِ الموؤودة في ذاكرتي

قلْتُ: لماذا يحملُني بحرُ الحُزنِ

إلى جُزر الحُزنِ

وهذا الصّبحُ رضيُّ القسماتِ

وأنّي أُبحرُ في سمتِ اللهِ،

فقيلَ: دموعُ الفرحِ..

تساءَلْتُ: وهل للفَرحِ دُموعٌ؟!

لا بُدَّ سيبتسمُ الحُزنُ إذاً..

ولسوف يعودُ الطّفلُ الحالمُ

كي يغرسَ أشتالَ النّعناع على خاصرةِ الدّربِ،

بشيراً للفرح القادمِ

سوفَ يعودُ الطّفلُ الحالَمُ

كي يشربَ ضوءَ الصُّبْحِ

ليطلعَ صبحٌ آخرُ يَنْضافُ إلى العُمْرِ

فتصغرُ دائرةُ الضّوءِ.. وتصغُر..

تصغرُ.. تصغرُ

لكنْ:

هل يندمِلُ الجُرحُ؟!

(٩٥،١١،٢٥)

دُعَاءُ نُوح..

رَبّي..

هأَنذا عبدُكَ

بين يديْكَ،

أقمْتُ العَهْدَ

وأَكْمَلْتُ بناءَ الفُلْكِ،

مِن الخشبِ الجُفْر - كما أوصيْتَ -

لِيَحْمِلَها البرُّ إلى البَرِّ النّوروزيِّ،

إلى اليومِ الموعودِ..

فزِدْني من نورك نوراً يا رَبُّ،

وبَدِّدْ خوفي..

إنّي لم أركبْ من قَبْلُ عُبابَ البَحْرْ.

رَبّي..

قد فَسَدَ المِلْحُ،

.بماذا سَيُمَلَّحُ بعدَ الآنْ؟!

غُفرانَك اللهُمَّ..

بنيتُ الفُلْكَ - كما أوصيتَ -

وهأنذا عبدُك بينَ يديكَ،

أقمْتُ العَهْدَ... إلهي!!

فأَقِمْ عهدَك..

وافتَحْ من عِندِكَ..

.. كُلَّ ينابيعِ الغَمْرْ..!!

(٩٥،١١،٣٠)

مالكُ الحزين

"طائرٌ يقعدُ قربَ الماءِ.. فإذا

جفَّ ظهرَ كئيباً ولا يبرح مكانه

حتّى يموت.."

أودعْتُ حُبَّكِ في الفؤادِ

ورحْتُ أنتظر انطفاءَ الشّمسِ،

في عينيَّ..

يقتُلُني السّرابُ

أشدُّ قامتيَ النّحيلةَ

ألفظُ النّفَسَ الأخيرَ

أشدُّ..

يغسلُني انتظارُكِ بالعبيرِ

فأَشتهي شفتيكِ

ما أحلى الرُّضابَ!!

أشدُّ..

يقتُلُني الرُّضابُ

تسيلُ أيّامي على قدميَّ إكسيراً،

تمازجَ بالتُّرابِ،

وتِبْرُ أحلامي يُمازجُ رقصةَ الموتى - هناكَ -

.. هنا.. هناكَ -

أراكِ من خلفِ الجفونِ المُتعباتِ

وأنتِ أبهى ما يكونُ

وأنت أشهى ما يكونُ

على يديك أنامُ -

ليتَ على يديكِ أنامُ!!

أشربُ حُبَّكِ العُذريَّ

تشرُبني جفونُكِ

أرتدي لونَ الهضابِ

وألفظُ النَّفسَ الأخيرَ

على يديكِ..

وأشتهي أن أستريحَ

على يديكِ..

فقد سئِمْتُ ضبابَ أوهامٍ
يُنشّرُها الصّباحُ البِكْرُ أحلاماً مورّدةً
فَيطويها الأصيلُ.

ولقد أَنسْتُ بزُرقتينِ –
سماءِ يومٍ دافئٍ
وصفاءِ عينيكِ الدّفيءِ،
فأغمضي عينيَّ
شدّيني إلى رئتيكِ
كي أغفو..
وفي عينيَّ نورُ اللهِ،
والوطنُ الجميلُ.

إنّي سألتُكِ. أغمضي عينيَّ
شدّيني إلى رئتيكِ
هذي أطولُ الغفواتِ
هذي أعذبُ الغفواتِ

يندمجُ الموتُ معَ الحياةِ،

على يديكِ..

أوقّعُ اللّحنَ الأخيرَ

وأشربُ الكأْسَ الأخيرةَ

كأْسَ (نرفانا*) تُجمّعُ ما تبقّى،

من بقايانا

فنصعدُ سُلَّمَ الملكوت

يحرُسُنا اليمامُ النّاصريُّ

وليلُ غربتنا يُؤانِسهُ الهديلُ.

***

أودعْتُ حُبّكِ في الفؤادِ

ورحْتُ أنتظرُ انطفاءَ الشّمسِ،

في عينيَّ..

هل أزفَ المعادُ

فراحَ قلبي يَنْقُفُ الوترَ الحزينَ

ورُحْتِ تنتفضينَ لاهبةً

على شفتيّ..

مَنْ مِنّا يموتُ على بُكاءِ النّايِ

مَنْ مِنّا يُلامِسُ حُمْرَةَ الأُفقِ البعيدِ،

أنا أموتُ..

وأنتِ تبتسمينَ خالدةً

وأنا أعودُ معَ الرّبيعِ

وأنتِ تبتسمينَ خالدةً

وأنا أَجمّعُ ما تبقّى مِنْ ضلالِ الرّوحِ،

أبسمُ.. تبسمينَ

تُلقّطينَ نِثارَ أَلْحاني

فينطفئُ النّشيدُ على معازفِكِ الحزينةِ

أنت (رابعةُ*) الّتي تركت مَراقِصَها

وإنّي حُزنُها الصّوفيُّ، -

منذُ البَدْءِ،

إنّي حُزنُها الصّوفيُّ

تمضُني فصولٌ..

ثُمّ تشربُني فصولٌ

لتعودَ تمطرُني فصولُ..

ضُمّي حبيبَكِ يا حبيبةُ

فالخليليّاتُ قد أقبَلْنَ

يَنْقُرْنَ الدّفوفَ

ويعتمرْنَ الرَّنْدَ تيجاناً

ويلبَسْنَ النّسيمَ الخيفَويَّ

يَمِلْنَ تيهاً وانسجاما.

يا أجملَ الفتياتِ!!

كفّنَّ المُظفَّرَ - سيّدَ العُشّاقِ،

بالكفن الحريرِ،

انْضَحْنَ قامَتَهُ المديدةَ بالدّموعِ

وبالبَخورِ..

فقد تَسَحَّرَ بالغرامِ

وبعدها صَلّى وسَلَّمَ ثُمَّ صاما.

واحملْنَ إكليلاً مِنَ الوزّالِ،

إكليلاً مِنَ الرّيحانِ،

من بخّور مريمَ والشَقيقِ،

احملْنَ إكليلاً مِنَ الرّاوَنْدِ

والشّيحِ الموشّحِ بالخُزامى.

واحملْنَ أنفاسَ الأميرةِ للأميرِ

وَضُمَّ عطرَهما لعطرِكَ يا جليلُ..

موتُ الحبيبِ معَ الحبيب على ترابِكَ،

يا جليلُ.. هو النّعاسُ،

ورُبَّما رَنَقٌ ثقيلُ.

(٩٦،١،٢٢)

---

١) جميع أسماء النباتات والأشجار التي وردت في القصيدة هي أسماء للنباتات وأشجار حبيبة.

٢) برفانا - في البوذية انعتاق الانسان عقلاً وشعوراً من مشاغل الدنيا واتحاد روحه بالرّوح الكونيّة.

٣) رابعة العدوية - امرأة من البصرة كانت تعرفُ بالمعازف. تنسّكت فأدخلت على التصوف فكرة الحب الإلهي بدلاً من الخوف والرّهبة. توفيت بظاهر القدس في الأرجح. وقيل بالبصرة سنة ١٣٥ هـ ٧٥٢ م.

ندىً تظلّينَ...
...قلبي قرنفُلَةٌ ذابلة!!

في روح زيْدَة.. أمّي
١٩١٨ - ٦ شباط ١٩٩٦

(١)

صباحُ الثّلاثاءِ..

ذاكَ الصّباحُ الحزينْ.

أطلَّ...

وقريتُنا تستجيبُ نداءَ الحياةِ

وتطْردُ عن مقلتيها بقايا نُعاسٍ

وأنفاسَ ليلٍ تسحَّبَ خلف التّلالِ،

عليلاً.. كليلاً..

ثقيلَ الجفونْ.

(٢)

وكانت روازنُ تزفُرُ فوقَ السّطوحِ،

تَئِنُّ..

بذاكَ الصّباحِ، - صباحِ الثلاثاءِ،

كانت مصابيحُ تُغمِضُ أعيُنَها النّاعساتِ

وكان شُباطُ كرابيجَ يَجلِدُ ظَهْرَ الحياةِ...

وجُرحاً..

يُحيلُ صفاءَ الحياةِ،

بذاكَ الصّباحِ الحزينِ -

قذىً في العيونْ.

(٣)

بَكَت لوزةٌ تستعيدُ الرّبيعَ وشاحاً

ودوريُّ قرميدنا واجمٌ.

لم يُناغش - كما كُلَّ يومٍ - بذاكَ الصّباحِ

صباح الثلاثاءِ،

تكعيبةَ الياسمينْ.

(٤)

وفوقَ حوافي السّطوح..،

لماذا تجمّعَ فوقَ حوافي السّطوحِ

بذاكَ الصّباحِ الحزينِ،

يمامٌ شجيٌّ حزينْ؟!

(٥)

وعُنّابةُ الدّارِ ضَمّتْ غُصَيْناتِها العارياتِ،

خشوعاً..

وراحتْ توشوشُ فَوْجَ الغَمامِ الهتونْ.

تقولُ:

ملائكةٌ حَوّموا ها هُنا!

ملائكةُ حَوّموا..

بَخّروا.. رتّلوا.. كَبّروا!

ثُمّ غابوا..

غيابَ انطفإ الرَّنينْ.

(٦)

وكانَ الوداعُ الأخيرُ،

صباحَ الثلاثاءِ -

كان انطفاءُ الفنار بميناءِ عمري..

وكان ضياعُ النَواتيِّ،

كان ضياعُ السّفينْ.

تنهّدْتُ من أضلعِ موجعاتِ..

بكيتُ..

كطفلٍ أزاحوهُ عن ثدي أُمِّ

بكيتُ..

- إلى أينَ...؟!

أغضت - على سُقمها - أجفُناً مُنهكاتِ

وراحت تُغرغِرُ بُقيا حياةٍ

وكانت أناملُها الزّرقُ فوقَ الغطاءِ

حروفَ هجاءٍ..

كأنَّ أناملها الزّرقَ تنطقُ..

تفضَحُ ما يعصُرُ القلْبَ،

تستحْلِفُ القلبَ أنْ يستكينْ.

(٧)

وكان الوداعُ الأخيرُ،

لقاءً

مع اللهِ في جنةِ الخالدينْ.

(٨)

لَكَمْ قُلْتِ: قد أَخْلَقَ الثّوبُ

يا ربُّ

أنت السميعُ المُجيبُ..

على ساعدِ الموتِ ألقيتَ رأسي

لكي يبدأَ الحُلْمُ،

فَليَبدَإِ الحُلْمُ!!

يا ربُّ

ما عادَ متّسعٌ في رُواقِ الحياةِ

فخُذْ بيديَّ

وبين يديك الملاذُ الضّريحُ الهنيءُ الأَمينْ.

(٩)

وكان الوداعُ الأخيرُ

صباحَ الثّلاثاءِ،

كان لقاءً مع اللهِ

في جنّةِ الخالدينْ.

(١٠)

تقرّيْتُ وجهَكِ هذا الصّباحَ
فكُنْتُ كأَنّي أُضالِعُ وَجْهَ جليلِ الشّجَنْ.
وقبّلْتُ رَسْمَكِ هذا الصّباحَ
فكُنْتُ كأَنّي أُقبّلُ جُرحَ الوَطَنْ.
تقرّيْتُ وجهَكِ..
هبَّتْ على الرّوحِ أنفاسُ دفلى
وفاحتْ سواسِنُ
هاجَ اخضرارُ المروجِ بقلْبٍ،
تعوّدَ غدْرَ الزّمانِ الهجينْ.

(١١)

تقرّيْتُ وجهَكِ هذا الصّباحَ
وقبّلْتُ رسمَكِ هذا الصّباحَ
فصار الصّباحُ رفيفَ خُزامى

وهمسَ أقاحِ
وبوحَ البَنَفْسَجِ للنّارَدِينْ.

(١٢)

وهذا الصّباحَ
ترجَّعَ صوتُكِ في مِسْمَعَيّ
تُرى أيَّ سِحرٍ سمِعْتُ
وأيُّ أمانٍ تَنَزَّلَ في رئَتيّ!!
تَرجَّعَ صوتُك..
عادتْ إليَّ أغاني الطّفولةِ
عادت إليَّ الطّفولَةُ،
تمسحُ عن مُقلَتيَّ غبارَ الطّريقِ
وَهَوْلَ الضّريقِ
ووقعَ حوافرِ خيْلِ السّنينْ.

(١٣)

سلامٌ عليكِ صباحَ الثّلاثاءِ

ألفَ سلامٍ

وهذا الصّباحَ

وكُلَّ صباحٍ سلامٌ عليكِ

وفي كُلِّ آنٍ وأَيْنٍ وحينْ.

(١٤)

سلامٌ عليكِ..

سلامَ الرّسولِ لأهلِ الكتابِ

سلامَ الصّحابةِ..

.. للمسلمينْ.

(١٥)

... وهل نحنُ يا أُمُّ

غيرُ انطفاءِ الحياةِ

على أُرغُنِ الحُزنِ

والأرضُ تبقى

وتبقى الحياةُ مسارحَ ذكرى

وذكرَ انتصارٍ

لِمَنْ يجعلونَ الحياةَ رغيفاً

وشُرْبةَ ماءٍ

وبسمةَ حُبٍّ

- كما كُنتِ يا أُمُّ -

... للآخرينْ.

(٩٦،٦،٦)

صباحٌ جديدٌ.. نداءٌ معتّق

(.ى فنّدي..)

طلعَ الصُّبحُ..

وأرخت شمسُ الأحلامِ جدائلَها،

تِبْراً،

يُروي عطشَ النّفس الظّمأى

ويدغدغُ أحلامَ الفقراءْ.

طَلَعَ الصُّبحُ

فقُمْ يا ولدي

يحرسُك المولى من عين الحاسدِ

والمجهولِ..

وشرِّ السُّفهاءْ.

ما عادَ أسيرَ الفرشة غيرُك

فالعامِلُ يغتسلُ بعرق اللُّقمةِ

منذُ الفجرِ،

وأنتَ تغُطُّ رهينَ النّومِ

وراعي القريةِ،

قدْ مَلَّ العزفَ على النّايِ،

وأنت أسيرُ الدّفءِ.

فقُمْ يا ولدي..

أسرابُ الدّوريّ تناديكَ

وتنحو باللّومِ عليكَ

فما هذا الكسلُ المُسْتَحْدَثُ

يا طفلَ الزّمنِ الرّحوِ

ويا جيلَ الآذانِ الصّمّاءْ.

والدُك الفلاّحُ.. وجدُّكَ،

لم يعرفْ جدُّك طعم فِراش الصُّبحِ

ولم يذق الرّاحةَ إلاّ بعدَ غروبِ الشّمسِ.

فقُمْ يا ولدي!!

قُمْ يا سندي!!

وانفضْ عن جفنيْكَ غُبارَ الأمسْ

ها هو ذا جرسُ المدرسةِ يناديكَ

شجيَّ الأنغامِ

رقيقَ الجَرْسْ.

أوتدري ماذا تعني دقّاتُ الجرسِ الهاتفِ،

كُلَّ صباحٍ يا ولدي؟!

فهيَ طريقُ الإنسانِ الواصِلُ

ما بين رُضابِ المَهْدِ

وما بينَ تُرابِ اللّحْدِ..

وجسرُ الآلام إلى الوعْدِ..

نشيدُ الزّحفِ الصّاعدِ أدراجَ المَجْدِ..

فقمْ يا ولدي

وامسحْ وجهَك بالفاتحةِ

وضوءِ الصُّبْحِ

وحُبِّ الوَطَنِ

وقُلْ:

ها أنذا أحملُ قلمي وكتابي

زوّادةَ دربي

وسلاحي في الزّمنِ الصّعْبِ

مدرستي نقشٌ محفورٌ في قلبي

أُستاذي ربّي..

...مِنْ بعدِك يا ربّي!!

(٩٦.٦.٢٩)

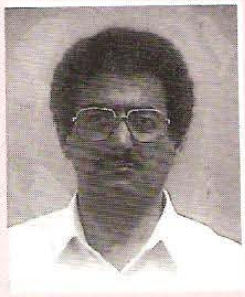

كتب
حسين عفيفة

وطني يعزف حبًا ١٩٧٩
وطني رُدّ إلى رمال شهيدًا ١٩٨١
أموت قابضاً جمراً ١٩٨٦
قابضون على الجمر ١٩٩١
تمتمات آخر الليل ١٩٩١
حديث الحواس ١٩٩٢
عوض يتسرّد صباه ١٩٩٣
أنت سبيلتهم وشعري نحيب العاجز ١٩٩٣
ليس في الحقل سوسن للفرح ١٩٩٣
الحب أولاً ١٩٩٥